المحاضرة 7
المقاومة الشعبية في المشرق العربي
النموذج الأول ثورة أحمد عرابي 1881

-أحمد عرابي ضد القصر الخديوي:

سبق لنا القول: يجب ضبط مفهوم المقاومة الشعبية، ضبط سليم ودقيق، وعليه يمكن القول: إن ثورة أحمد عرابي باشا جرت عبر مرحلتين: المرحلة الأولى كانت موجهة ضد القصر –الأسرة الخديوية الحاكمة- أسرة دب فيها الفساد بمختلف أشكاله وأنواعه. مما دفع بأحمد عرابي إلى تقديم عرائض ومطالب للحكومة تطالب بتغيير الوضع السائد في مصر، ومحاولة انقاذها من الوضع المتعفن الذي باتت تعيشه. ومن بين مطالبه: تأسيس حكومة دستورية برئاسة محمود سامي البارودي، وتعيين أحمد عرابي وزيرا للدفاع، عدم احتكار السلطة في الأسرة الخديوية، انتخاب برلمان من مختلف فئات الشعب المصري، القضاء على أنجلزة مصر في الجوانب التي سيطر عليها الانجليز خصوصا الإدارة...الخ.

بطبيعة الحال لم تكن هذه الاجراءات خافية على العدو الإنجليزي، كما أن الخديوي كانت يده ممدودة لهم، فكان كل ما يدور من اجراءات وتحركات لأحمد عرابي إلا ويعلم بها الانجليز، في هذه الاثناء قام الانجليز بتصوير أحمد عرابي بالخطر الداهم الذي سيقضي على العرش، وعليه ف المسألة تتطلب تعاون القصر مع الانجليز للقضاء على هذا الخطر المشترك!.

أفرزت عملية التقارب هاته والتعاون إلى تهديد الإنجليز لأحمد عرابي، بالتراجع عن الإصلاحات التي قدمها، وبالغاء التحصينات العسكرية التي قام بها خصوصا في الإسكندرية، وقصد حبك مؤامرة أو حجة التدخل جرت مشادات عنيفة بين الأوربيين الأنجليز والمصريين في القاهرة أدت إلى مقتل ما يقل عن 30 شخص أوربي ناهيك عن الجرحى، فكانت حجة بريطانيا التدخل لحماية رعاياها وتأمين حياتهم، فراجت تقصف في الأ سكندرية، قصف أفضى إلى احتلالها وفرض الأمر الواقع على أحمد عرابي الذي سيعلن الكفاح المسلح ضد الانجليز. هذا فيما يخص الشطر الأول من أحداث ما قبل الثورة العرابية الموجهة ضد الإنجليز.

-أحمد عرابي ضد الإنجليز: ثورة أحمد عرابي.

بعد قصف الإسكندرية وتحالف القصر مع الإنجليز، تأكد لأحمد عرابي أنه لا مفر من القيام بالثورة، ثورة كبّد من خلالها العدو الإنجليزي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات خصوصا في الأشهر الأولى من الثورة، ومن بين أشهر المعارك التي خاضها ضدهم: معركة كفر الدوار خلال شهر أوت 1882، ومعركة التل الكبير في الشهر الموالي من نفس السنة، غير أن رياح

الغدر والخيانة دائما تلتف حول المقاومين والأبطال، حيث تمكن الإنجليز من القاء القبض على أحمد عرابي، ومجموعة معتبرة من أنصاره المقربين، فحولت الساحات العامة إلى محاكم ومشانق لاعدام قادة الثورة، طيلة الفترة الممتدة من أكتوبر –ديسمبر 1882، وفرضت قبضتها الحديدية على المصريين الذين تراجعت شعبية مقاومتهم بنفي أحمد عرابي.

طالما مصر ولاية عثمانية بودنا أن نعرف موقف الدولة العثمانية من فرض حمايتها عليها، بطبيعة الحال فوضع الدولة العثمانية لا تحسد عليه، صراعات سياسية وخلافات حادة بين السلطان عبد الحميد وخصومه من الداخل والخارج، وهو وضع عاشته تقريبا أثناء احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830. إن تحرك السلطة العثمانية لم يكن في مستوى تطلع المصريين، حيث اكتفت بالتنديد والمعارضة على الورق، ومن بين الخطوات التي باشرتها في ذلك تكليف محمد سعيد باشا سنة 1887 بالتفاوض مع الممثل البريطاني درموند وولف حول امكانية توقيع اتفاقية الجلاء البرطاني عن مصر، جلاء مشروط باستقرار الوضع في مصر وعدم تهديد مصالحها، وهو حلم لن يتحقق في القريب العاجل، حيث سيعمل الانجليز على عرقلته دوما.

ومن ملامح حكم قبضتها على مصر: بعد وفاة الخديوي توفيق قام ا لانجليز يتعيين الخديوي عباس حلمي خلفا له،وفرض سياسة الأمر الواقع عليه، وهو الإعتراف بالحماية البرياطانية مقابل تأمين القصر من كل تهديد محتمل، فالعدو قام بتصوير الشعب عدوا للقصر بينما قدّم نفسه منقذ وليس محتل، والأمر نفسه قام به الجنرال "ليوتي" في المغرب فبعد استقالة السلطان عبد الحفيظ عيّن مولاي يوسف سلطانا جديدا للمغرب وراح يفرض عليه شروط الحماية كما يريد.

مع مطلع القرن العشرين شهدت مصر كغيرها من الولايات العربية نشاط سياسي متعدد الأوجه ومختلف المشارب، أفضى إلى تأسيس الأ حزاب السياسية...الخ، وهي مرحلة النضج السياسي لكن كثورة أو مقاومة مسلحة لم نسجل إلا ثورة 1919، فعلى الرغم من سلميتها استاطعت احداث بعض التغيير في مصر، تغيير أفضى على المستوى البعيد سنة 1922 على الغاء الحماية البريطانية بشكل غير مباشر، وعن تأسيس أول دستور لمصر الجديثة سنة 1923.